المواقف السياسية للإمام العز بن عبد السلام - رحمه الله تعالى-

(٥٧٧ - ٦٦٠هـ = ١١٨١- ١٢٦٢م)

ا.م.د عابد براك محمود الأنصاري

جامـــــعة سامـــــراء

Political Positions of Imam Izzud-Din ibn Abdus-Salam (Almighty God's mercy)

((577-660 AH = 1181-1262 AD))

Assistant Professor
Aabid Barak Mahmoud al-Ansari (Ph.D)

University of Samarra

Abstract

Our nation, being a nation of science and intellect, knowledge and civilization, has given birth to a number of scientists in all fields of etymology and the Islamic scholars such as Sheikh Izzud-Din bin Abdus-Salam who had a great scientific status.

This study deals with the biography of the Imam and his political positions as well as his scientific prestige in the nations. Hence the importance of this issue, which by his peers and have to heal the rift , reunion , and the collection of the Diaspora, and the reunification of the nation again . Were used in this study, the methodology of scientific research based on historical analysis and reasoning and conclusion, and I tried as much as possible to cite the text literally to the opinions of scholars of Islam media, in addition to Citation sense.

The study involved two sections: The first section is about the translation of his biography and includes : first his age , Second: his personal life , III and his death , IV : scientists praise on him, V. asceticism and piety VI : his patience .

The second section is on the political attitudes of Imam Izz ibn Abdul Salam - Almighty God's mercy. It is divided into : First, his political positions with Malik al-Ashraf , Second: his political positions with the king As-Salih Who agreed with the Crusaders , Third: his political positions with Fakhruddin , Fourth, his political positions with King Ayoub, V. his political positions in the battle of Mansoura , VI : his political positions with Qtz in taxation , Seventh, his political positions in the sale of the Kings Mamluks .

مجلة سر من رأى
تصدر عن كلية التربية / جامعة سامراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ...﴾ [الأنعام:٩٠] .

إن أمتنا هي أمة العلم والفكر والمعرفة والحضارة، وقد ظهر منها علماء خلدهم التاريخ في كل المجالات، ومنهم الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله تعالى–، الذي كانت له منزلة علمية عظيمة، وفي هذه الدراسة سأتناول سيرة هذا الإمام ومواقفه السياسية ومكانته العلمية.

ومن هنا تنبع أهمية هذا الموضوع، الذي به وبنظائره يكون رأب الصدع، ولم الشمل، وجمع الشتات، وإعادة توحيد الأمة من جديد. واستخدمت في هذه الدراسة منهجية البحث العلمي التاريخي القائم على التحليل والتعليل والاستنتاج، وحاولت قدر الإمكان الاستشهاد بالنص حرفياً لآراء علماء الإسلام الإعلام، إضافة إلى الاقتباس بالمعنى.

ضمت الدراسة مبحثين:

تناول المبحث الأول عن ترجمته (سيرته الذاتية) ويضم: أولا عصره، ثانيا: حياته الشخصية، ثالثاً: وفاته، رابعاً: ثناء العلماء عليه، خامساً: زهده وورعه، سادساً: صبره على ما أصابه.

والمبحث الثاني عن المواقف السياسية للإمام العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى–، وقسمته إلى: أولا: مواقفه السياسية مع الملك الأشرف، ثانياً: مواقفه السياسية مع الملك الصالح لما حالف الصليبيين، ثالثاً: مواقفه السياسية مع فخر الدين، رابعاً: مواقفه السياسية مع الملك أيوب، خامساً: مواقفه السياسية في معركة المنصورة، سادساً: مواقفه السياسية مع قطز في فرض الضرائب، سابعاً: مواقفه السياسية في بيع الملوك المماليك.

واخيراً: نسأله تعالى إن يوفقنا لما فيه خير وصلاح انفسنا ولتقديم ما يمكن لخدمة تاريخنا وتراثنا، وأن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله منا بفضله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليما كثيرا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: **ترجمته** (**سيرته الذاتية**)

أولا- عصره:

كان عصر الإمام الشيخ عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– عصر اضطراب وفتن، فقد عاصر الدولة الأيوبية في هرمها وشيخوختها، فبعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله تعالى– (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) ، ترك مملكة موطدة الأركان تمتد من اليمن جنوباً إلى أوائل بلاد أرانية [١] في الشمال، ومن طرابلس الغرب [٢] إلى باب همذان [٣] ، لكنها تمزقت وتوزعت إلى دويلات وإمارات بين أبنائه في مصر، وفي دمشق، وفي حماه، وفي حمص، وفي حلب، وقد استحكمت واشتدت بين الحكام الإخوة الخلافات، والخصومات والعداوات، وكان الأعداء يحيطون بهم من كل جهة [٤] .

إن هذه الأوضاع وتلك النزاعات التي انجرف فيها أبناء البيت الأيوبي أدت إلى ضعفهم وذهاب ريحهم، قال أبو شامة: "أما هذا البيت فإن الآباء منه اتفقوا فملكوا، وإن الأبناء منهم اختلفوا فهلكوا، وإذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقه، وإذا بدأ خريق ثوب فما يليه إلا تمزيقه، وهيهات أن يسد على قدر طريقه وقد قدر طروقه، وإذا كان الله مع خصم على خصم فمن كان الله معه فمن يطيقه؟!" [٥] ، فالصليبيون كانوا قد بدأت حملاتهم بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي –رحمه الله تعالى–، والمغول التتار هجموا على البلاد العربية الإسلامية كالجراد، فقضوا على الخلافة الإسلامية في دار السلام بغداد، وارتكبوا من الفظائع الوحشية ما لا يوصف، وكانوا يخططون للوثوب على سائر بلاد الإسلام؛ وهؤلاء في غفلة ساهون، وفي غيهم سادرون، كل همهم الدنيا الفانية، والمناصب الزائلة، حتى أصبح بعضهم يستعين على أخيه بأعداء الإسلام من الصليبيين [٦] ، ونزع الله منهم الأمن، وأصبحوا في ضنك من العيش، فلا بد إن يدفعوا ثمن انحرافهم وطغيانهم، والآيات القرآنية صرحت بذلك، فالله سبحانه وتعالى إذا أنعم من نعمه لدولة أياً كانت فهو لا يسلبها حتى يكفر بها أصحابها،: قَالَ تَعَالَى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ ﴾ [الأنفال: ٥٣] ، فنسوا مهمتهم يقول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٥ ﴾ [الأنعام: ٤٤ ـ ٤٥] ، وظلت الخلافات تنخر في عظام هذه الدولة، حتى سقطت، وقامت بعدها دولة فتية للمماليك في القاهرة قيض الله على يديها هزيمة التتار.

وكان الشيخ عز الدين جريئا في أحكامه، قويا في قضائه وتنفيذه مما عرضه لكثير من المخاطر، وأدى إلى استقالته مرتين من القضاء [٧] ، وله في ذلك من المواقف ما زالت مضرب الأمثال في الجرأة والشجاعة والإخلاص، ومن الطبيعي أن يصطدم الشيخ بأصحاب السلطان، وأهل الأهواء في

عصره لأن سلوك الشيخ وجرأته في الحق لا تعجب هؤلاء الذين لا يعجبهم إلا من يسايرهم، ويوافق أهواءهم، ويمشي في ركابهم، ولم يكن الشيخ من هذا الصنف الذي يبيع دينه بعرض من الدنيا، بل كان –رحمه الله تعالى– جريئا شجاعا، يقول الحق ولا يبالي، أرضوا أم سخطوا، ويجهر بالنصح، ولا يخشى في الله لومة لائم، لذلك كانت حياته سلسلة من الصراع مع الحكام والأمراء والجنوح الفكري، والانحراف السلوكي، ولا عجب أن يقول الظاهر بيبرس البندقداري [٨] لما بلغه خبر وفاة الإمام: "لم يستقر ملكي إلا الساعة؛ لأنه لو أمر الناس فيما أراد لبادروا إلى امتثال أمره" [٩] .

عاصر الإمام عز الدين –رحمه الله تعالى– هذه الاضطرابات والفتن، ورأى الفساد السياسي والاجتماعي يأخذ بخناق الناس، فرأى واجبا عليه أن ينزل إلى الميدان، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو إلى الوحدة، ونبذ الخلافات بين الحكام وعامة المسلمين، وينشر اليقظة والوعي في نفوس الناس، ويفتيهم في أمور حياتهم، وكان يدخل على الحكام والأمراء ينصح لهم ويعظهم، ويوجههم في جرأة وإخلاص [١٠] .

وقد عاصر الإمام العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– عددا من الحكام، هم:

١– الملك الأشرف موسى الأيوبي:

أبو الفتح موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب، الملقب الملك الأشرف مظفر الدين؛ كانت ولادته سنة ٥٧٨هـ بالديار المصرية بالقاهرة، وقيل بقلعة الكرك؛ أول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها، سيره إليها والده من الديار المصرية في سنة ٥٩٨هـ، ثم أضيفت إليه حران. وكان محبوباً إلى الناس مسعوداً مؤيداً في الحروب، ولما توفي أخوه عبد الملك الأوحد نجم الدين أيوب صاحب خلاط وميافارقين وتلك النواحي، أخذ الملك الأشرف مملكته مضافة إلى ملكه، مرض الملك الأشرف مرضاً شديداً، وتوفي يوم الخميس رابع المحرم سنة ٦٣٥هـ بدمشق، ودفن بقلعتها. وكان سلطاناً كريماً حليماً واسع الصدر كريم الأخلاق كثير العطاء، لا يوجد في خزانته شيء من المال مع إتساع مملكته، ولا تزال عليه الديون للتجار وغيرهم [١١] .

٢– الملك الصالح إسماعيل:

الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، تملك دمشق بعهد من أخيه الملك الأشرف، ولما مات الملك الأشرف جعل ولي عهده أخاه الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل، فقصده الملك الكامل وانتزع منه دمشق، بعد مصالحة جرت بينهما، وذلك في التاسع من جمادى الأولى سنة ٦٣٥هـ، وأبقى له بعلبك وأعمالها وبصرى وأرض السواد وتلك البلاد [١٢] .

٣- فخر الدين ابن الشيخ:

فخر الدين ابن الشيخ يوسف بن محمد بن عمر بن علي بن محمد بن حموية، الأمير فخر الدين ابن صدر الدين شيخ الشيوخ الحموي الجويني؛ كان أميراً كبير عالي الهمة فاضلاً متأدباً سمحاً جواداً محبوباً إلى الخاص والعام، خليقاً بالملك لما فيه من الأوصاف الجميلة، تعلوه الهيبة والوقار. وكانت أمه قد أرضعت الملك الكامل، فكانوا أولادها الأربعة أخوة الملك الكامل من الرضاعة، وكان يحبهم ويعظمهم، ولم يكن عنده أحد في رتبة الأمير فخر الدين، لا يطوي عنه سراً ويثق به ويعتمد عليه في سائر أموره، ونال الأمير فخر الدين وإخوته من السعادة ما لا ناله غيرهم. ولما ملك الملك الصالح البلاد، أعرض عن الأمير فخر الدين واطرحه ثم اعتقله ثم أفرج عنه وأمره بلزوم بيته. ثم إنه ألجأته الضرورة إلى ندبه للمهمات لما لم يجد من يقوم مقامه، فجهزه إلى بلاد الملك الناصر داوود، فأخذها ولم يترك بيده سوى الكرك، ثم جهزه لحصار حمص، ثم ندبه لقتال الفرنج، فاستشهد [١٣] .

٤- الملك الصالح نجم الدين:

أيوب السلطان الملك الصالح نجم الدين ابن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب ولد سنة ٦٠٣هـ بالقاهرة، وكان ملكا مهيبا جبارا ذا سطوة وجلالة وكان فصيحا حسن المحاورة عفيفا عن الفواحش فأمر مماليكه الأتراك [١٤] ، استلم حكم مصر سنة ٦٣٨هـ. وفي هذه السنة سلم الافرنج جزءاً من الأرض العربية، وعزل الإمام عزّ الدين بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– عن الخطابة وحبسه، وحبس أيضا أبا عمرو بن الحاجب [١٥] لأنه أنكر عليه فعله، فحبسه مدّة ثم أطلقه [١٦] . توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧ هـ بالمنصورة، والمعارك ناشبة بين جيشه والإفرنج، وكانت عنده زوجته شجرة الدر [١٧] فأخفت خبر موته، واستمر كل شئ كما كان: السماط يمد كل يوم، والأمراء في الخدمة، وهي تقول: السلطان مريض ما يصل أحد إليه [١٨] .

٥- الملك المظفر:

قطز بن عبد الله الشهيد الملك المظفر سيف الدين المعزي كان أكبر مماليك المعز أيبك التركماني بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير يرجع إلى دين وإسلام وخير وله اليد البيضاء في جهاد التتار، فلما داهم العدو الشام رأى أن الوقت يحتاج إلى سلطان مهيب فعزل السلطان الصبي وتسلطن وتم له ذلك في أواخر السنة ٦٥٧هـ، فلن يبلغ ريقه ولا تهنأ بالسلطنة حتى امتلأ الشام تتارا فتجهز للجهاد وشرع في أهبة الغزو والتف إليه عسكر الشام وبايعوه فسار بالجيوش في أوائل رمضان وعمل المصاف مع التتار، فكان قتله في سادس عشر ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ [١٩] .

ثانيا- حياته الشخصية

اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

الشيخ الإمام العلامة، أبو محمد، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن مهذب، السُّلَمِيّ الدمشقي ثم المغربي شيخ الشافعية، خطيب دمشق وقاضي القضاة بالديار المصرية، الملقب بسلطان العلماء، والشهير بالعز بن عبد السلام [٢٠] .

مولده ونشأته:

ولد ونشأ في دمشق سنة ٥٧٧هـ، وقيل ٥٧٨هـ، وزار بغداد فأقام شهرا [٢١] ، ولم تكن نشأته تنم على مستقبله، فقد نشأ فقيراً يعمل بيده ليحصل على قوته، وربما أوى في نهاية يومه إلى أحد المساجد ليبيت فيه، وظل كذلك حتى صار شابا، ثم اتجه إلى طلب العلم، ولزم العلماء والفقهاء حتى نبغ وصار إماما فأكسبه ذلك صفاء في نفسه، ونورا في روحه، وطمأنينة في قلبه، وزهدا في الحياة الدنيا وزينتها، وحبا لله، وعالما جريئا لا يخشى في الله لومة لائم، فارتفعت إليه الأنظار، واجتمعت حوله القلوب، وأحبه الناس [٢٢] .

شيوخه:

سمع الحديث من الحسين أحمد بن حمزة بن الموازيني، وأبي طاهر الخشوعي، وابن طبرزد، ومن الحافظ أبي محمد القاسم بن علي الدمشقي، وحنبل، وأبي القاسم عبد الصمد بن الحرستاني وغيرهم، وأخذ عنه الشيخ شرف الدين الدمياطي، وخرج له أربعين حديثا عوالي [٢٣] ، والقاضي تقي الدين بن دقيق العيد، ورحل إلى بغداد فأقام بها أشهراً، وكان ناسكاً ورعاً، أماراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم؛ ولي خطابة دمشق، فأزال أشياء كثيرة من أخطاء الخطباء، ولم يلبس سواداً، ولا سجع خطبة بل كان يقولها مسترسلاً، واجتنب الثناء على الملوك، بل كان يدعو لهم، وأبطل صلاة الرغائب [٢٤] والنصف من شعبان، فوقع بينه وبين شيخ دار الحديث الإمام أبي عمرو بن الصلاح خلاف بسبب ذلك، وبرز الشيخ عز الدين في إصابة الحق [٢٥] .

ولما تملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي [٢٦] دمشق وأعطى الفرنج صفد [٢٧] والشقيف [٢٨] ، نال الشيخ ابن عبد السلام –رحمه الله تعالى– منه على المنبر وترك الدعاء له، فعزله وحبسه فبقي مدة معتقلا، ثم وصل الصالح إسماعيل وأخرج الشيخ بعد محاورات ومراجعات فأقام مدة بدمشق ثم نزح عنها إلى بيت المقدس، فوافاه الملك الناصر داود في الفور، فقطع عليه الطريق وأخذه وأقام عنده بنابلس مدة وجرت له معه خطوب، ثم انتقل إلى بيت المقدس وأقام به مدة، ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية،

فسير الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطف به غاية التلطف وتستنزله وتعده بالعود إلى مناصبه على أحسن حال؛ فإن وافقك فتدخل به علي وإن خالفك فاعتقله، فلم يستجب لهم فقال له: قد رسم لي إن لم توافق على ما يطلب منك اعتقلتك؛ فاعتقله [٢٩] ، فنزح إلى مصر، فلما قدمها تلقاه الصالح نجم الدين أيوب [٣٠] ، وبالغ في احترامه، وولي ابن عبد السلام –رحمه الله تعالى– قضاء مصر والوجه القبلي مع خطابة جامع مصر، ثم إن معين الدين ابن الشيخ بنى بيتاً على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبل خاناه معين الدين، فأنكر ذلك ابن عبد السلام، ومضى بجماعته وهدم البنيان، وعلم السلطان والوزير يغضبان، فأسقط عدالة الوزير، وعزل نفسه عن القضاء، فعظم ذلك على السلطان، وقيل له اعزله عن الخطابة وإلا شنع عليك على المنبر كما فعل في دمشق، فعزله فأقام في بيته يشغل الناس، وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنادرة والشعر [٣١] .

وتفقه على الإمام فخر الدين بن عساكر "وقرأ الأصول والعربية، ودرس وأفتى وصنف، وبرع في المذهب، وبلغ رتبة الاجتهاد، وقصده الطلبة من البلاد، وتخرج به أئمة، وله الفتاوى السديدة" [٣٢] .

وحدث ودرس في عدة مدارس بالشام والديار المصرية وأفتى سنين متطاولة وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار وكان في آخر عمره لا يتقيد في فتاويه بما يقتضيه مذهب الإمام الشافعي –رحمة الله عليه– بل يفتي بما يؤدي إليه اجتهاده ويترجح عنده بالدليل، وصنف التصانيف المفيدة النافعة، وتولى الحكم بمصر والوجه القبلي مدة مع الخطابة بجامعها العتيق، وكان ولي الخطابة بجامع دمشق مدة، وكان علم عصره في العلم، جامعاً لفنون متعددة، عارفاً بالأصول والفروع والعربية والتفسير، مع ما جبل عليه من ترك التكلف، والصلابة في الدين [٣٣] .

وتفقه على الفخر بن عساكر، وبرع في المذهب، وفاق فيه الأقران والأضراب، وجمع من فنون العلوم العجب العجاب من التفسير والحديث والفقه والعربية والأصول، واختلاف المذاهب والعلماء، وأقوال الناس ومآخذهم حتى قيل: إنه بلغ رتبة الاجتهاد، ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد، وصنف المصنفات المفيدة، واختار وأفتى بالأقوال السديدة [٣٤] .

اشتغاله بالتدريس والخطابة والقضاء والإفتاء:

صارت إليه خطبة الجامع الأموي بدمشق، ولم يكن يرقى منبره إلا من كان في العلم والفضل إماماً، وتولى التدريس بمدارس العلم الكبرى بدمشق، كالغزالية والشبلية، وسمع من الحنابلة أذى كثيراً، ولما هاجر إلى مصر غضباً على السلطان الصالح إسماعيل، ولاه السلطان نجم الدين رئاسة القضاء بمصر، وعمارة المساجد، والخطابة في الجامع العتيق جامع عمرو بن العاص ﷺ بالفسطاط، وبدأ هناك مرحلة جديدة من حياته، وكانت سنه إذ ذاك فوق الستين [٣٥] .

من شهامته:

مما اشتهر من شهامته: "أنه حضر مجلس السلطان وكان اطلع على حانة يباع فيها الخمر، ويفعل فيها المنكرات، فقال: يا أيوب كيف يسعك في دينك أن تكون الحانة الفلانية في سلطانك؟ فقال: يا مولانا، أنا ما عملت هذا، بل هو من زمان أبي، فقال: أفترضى أن تكون ممن يقول يوم القيامة: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ...﴾ [الزخرف: ٢٢] ، فما وسعه إلا أن أمر بإبطال ذلك، وسئل الشيخ بعد أن انفصل المجلس، كيف تجسرت على هذا السلطان مع شدة سطوته؟ قال: رأيته قد تعاظم في موكبه، فأردت أن أهينه، فقيل له: فما خفته؟ فقال: استحضرت هيبة الله في قلبي، فصرت أراه كالقط" ، واستمر على هذه الطريقة إلى أن ترك جميع المناصب والولايات [٣٦] .

من أخلاق العلماء:

لما ذهب العز بن عبد السلام إلى مصر، لقيه عالمها المشهور، ومحدثها الكبير الحافظ عبد العظيم المنذري، وأعجب بعلمه وفقهه وزهده، فأكرمه وقدمه، وامتنع عن الفتيا وقال: كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين، أما اليوم بعد حضوره فمنصب القضاء متعين فيه، ورأى العز من الحافظ المنذري بحرا في الحديث، فكان يحضر له دروسه في الحديث. وهكذا تكون أخلاق العلماء العاملين، عرف كل منهما فضل صاحبه، فأقر له به، وإنما يعرف الفضل من الناس ذووه [٣٧] .

ثالثاً: وفاته:

كانت وفاته بالمدرسة الصالحية بالقاهرة في العاشر من جمادى الأولى سنة ٦٦٠ هـ، فعاش ثلاثة وثمانين عاما [٣٨] ، وأرسل إليه السلطان لما مرض وقال: "عين مناصبك لمن تريد من أولادك، فقال: ما فيهم من يصلح، وهذه المدرسة الصالحية تصلح للقاضي تاج الدين، ففوضت إليه" [٣٩] ، مات وصلى عليه السلطان الظاهر بيبرس، وشهد جنازته الخلائق وشيعه التاج عبد الوهاب بن زين الأمناء أبي البركات الحسن بن محمد الدمشقي بن عساكر –رحمه الله– [٤٠] ، ودفن بالقرافة في آخرها [٤١] .

مؤلفاته:

من تصانيفه: التفسير الكبير، والإلمام في أدلة الإحكام، وقواعد الشريعة، والفوائد، وقواعد الأحكام في إصلاح الأنام، وترغيب أهل الإسلام في سكن الشام، وبداية السول في تفضيل الرسول، والفتاوى، والغاية في اختصار النهاية، والإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ومسائل الطريقة، والفرق بين الإيمان والإسلام، ومقاصد الرعاية، وغير ذلك [٤٢] .

رابعاً: ثناء العلماء عليه:

مدحه الإمام السبكي فقال: "شيخ الإسلام والمسلمين، وأحد الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم ير مثل نفسه، ولا رأى من رآه مثله، علما وورعا وقياما في الحق، وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان" (٤٣) .

وقال الإمام الذهبي: "بلغ رتبة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة المذهب مع الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلابة في الدين" (٤٤) ، وقال: "كان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار" (٤٥) .

وقال الكتبي فيه: "شيخ الإسلام، وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين السلمي الدمشقي الشافعي" (٤٦) .

وقال ابن كثير فيه: "برع في المذهب، وجمع علوما كثيرة، وأفاد الطلبة ودرس بعدة مدارس بدمشق، وولى خطابتها ثم سافر إلى مصر ودرس بها وخطب وحكم، وانتهت إليه رئاسة الشافية، وقصد بالفتاوى من الآفاق، وكان لطيفا ظريفا يستشهد بالأشعار" (٤٧) .

وقال ابن حجر العسقلاني: "كان مع ذلك حسن المحاضرة، كبير المروءة، على غاية من صفاء الذهن وفرط الذكاء" (٤٨) .

وللصفدي فيه: "وكان الشيخ عز الدين يكتب خطاً حسناً قوياً" (٤٩) .

وروى السيوطي للقطب اليونيني فيه: "وكان مع شدته وصلابته حسن المحاضرة بالنوادر والأشعار" (٥٠) .

وقال السيوطي عن تقدم الامام العز في العلم: "وله كرامات كثيرة، ولبس خرقة التصوف من الشهاب السهروردي، وكان يحضر عند الشيخ أبي الحسن الشاذلي: قيل لي: ما على وجه الأرض مجلس في الفقه أبهى من مجلس الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وما على وجه الأرض مجلس في الحديث أبهى من مجلس الشيخ زكي الدين عبد العظيم، وما على وجه الأرض مجلس في علم الحقائق أبهى من مجلسك!" (٥١) .

ولأبن قاضي شهبه فيه: "وبرع في المذهب وفاق فيه الأقران والإضراب وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية واختلاف أقوال الناس ومآخذهم حتى قيل إنه بلغ رتبة الاجتهاد ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد وصنف التصانيف المفيدة" (٥٢) .

وللزركلي فيه: "عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد" (٥٣) .

وكان عالماً، بارعاً مفنناً، شاع ذكره وعلا صيته حتى قيل في المثل: "ما أنت إلا من العوام ولو كنت ابن عبد السلام" (٥٤) .

وفيه يقول الشيخ جمال الدين أبو الحسين الجزار، من البحر الخفيف:

سار عبد العزيز في الحكم سيرا ... لم يسره سوى ابن عبد العزيز
عمّنا حكمه بعدل بســـــيط ... شامل للورى ولفظ وجيز
غنيت أهل مصر بعــد افتقار ... مذ حبتهم علومه بكنوز [٥٥] .

ونظم في رثاءه أبو الحسين الجزار أيضا قصيدة أولها:

أما الفتاوى فعليها السلام ... مذ فقد الشيخ ابن عبد السلام
مات فمن يوضح أشكالها ... ويعرف الحلّ بها والحرام
إنّا إلى الله لفقد امــرىء ... قام بحقّ الله حقّ القيام
ما خصّ فيه بالعزاء امرىء ... ورزؤه عمّ جميع الأنام
كلّ أخي علم بكى فقده ... لأنّه في كلّ علم إمام
من للتفاسير وتحريــرها ... من للإصولين وعلم الكلام
كم دعوة منك غنينا بها ... عن ذابل يوم الوغى أو حسام
من للذي يطمع في جوده ... بعدك إن ضنّ بغيث غمام [٥٦] .

خامساً: زهده وورعه:

كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– عفيفاً ورعاً تقياً زاهداً، عازفاً عن هذه الدنيا ومتاعها ولذائذها، فكان كأفقر الناس فيها، وعند غضبه على السلطان نجم الدين، في تقصيره في تنفيذ حكم من أحكام الشرع، خرج من مصر، وضع متاعه البسيط على ظهر راحلته وسار، ولو أراد الشيخ أن يكون من أصحاب هذه الدنيا بدورها وقصورها الفانية لفعل ذلك وبكل يسر، فقد كان أهل السلطان من ملوك وأمراء يريدون وده رضاه، وكان الشيخ –رحمه الله– إذا تبين له الحق رجع إليه، من ذلك: "أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أفتى مرة بشيء، ثم ظهر له أنه أخطأ، فنادى في مصر والقاهرة على نفسه: من أفتى له ابن عبد السلام بكذا، فلا يعمل به، فإنه خطأ" [٥٧] .

فكانت سيرة الشيخ –رحمه الله تعالى– مضرب المثل للعالم الذي نذر حياته لله ولدينه، والقيام على تنفيذ الحدود لشريعته السمحاء.

سادساً: صبره على ما أصابه:

من شواهد ذلك أنه وقع بين الشيخ العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– وجماعة من العلماء خلاف، وكانوا يحسدون الشيخ لإقبال الناس عليه ولجرأته، فعمدوا إلى الوشاية، وأوغروا صدر السلطان عليه، فاستشاط الملك الأشرف وعظم غضبه على الشيخ: "ثم استدعى الغرز خليلا وكان إذ ذاك أستاذ داره، وكان من المحبين للشيخ والمعتقدين فيه، فحمله رسالة إلى الشيخ، وقال له: تعود إلي سريعا

بالجواب، فذهب الغرز إليه وجلس بين يديه بحسن تودد وتأدب وتأن ثم قال له: أنا رسول: ﴿... وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور: ٥٤، والعنكبوت: ١٨] ، والله لقد تعصبوا عليك وأعنتهم أنت على نفسك بعدم اجتماعك في مبدأ الأمر بالسلطان، ولو كان رآك ولو مرة واحدة لما كان شيء من هذه الأمور أصلاً، وكنت أنت عنده الأعلى، فقال له أد الرسالة كما قيلت لك ولا تسأل، فقال: لا تسأل ما حصل عند السلطان عند وقوفه على ورقتك، ولا سيما أنه وجد فيها ما لا يعهده من مخاطبة الناس للملوك، مضافاً إلى ما ذكرته من مخالفة اعتقاده، فقال لي: اذهب إلى ابن عبد السلام وقل له: إنا قد شرطنا عليه ثلاثة شروط، أحدها أنه لا يفتى، والثانية أنه لا يجتمع بأحد، والثالثة أنه يلزم بيته، فقال له: يا غرز، إن هذه الشروط من نعم الله الجزيلة علي، الموجبة للشكر لله تعالى على الدوام، أما الفتيا فإني كنت والله متبرما بها وأكرهها وأعتقد أن المفتي على شفير جهنم، ولولا أني أعتقد أن الله أوجبها علي لتعينها علي في هذا الزمان لما كنت تلوثت بها، والآن فقد عذرني الحق وسقط عني الوجوب وتخلصت ذمتي ولله الحمد والمنة، وأما ترك اجتماعي بالناس ولزومي لبيتي... يا غرز من سعادتي لزومي لبيتي وتفرغي لعبادة ربي والسعيد من لزم بيته وبكى على خطيئته واشتغل بطاعة الله تعالى، وهذا تسليك من الحق وهدية من الله تعالى إلي، أجراها على يد السلطان وهو غضبان وأنا بها فرحان والله يا غرز لو كانت عندي خلعة تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة لخلعت عليك، ونحن على الفتوح خذ هذه السجادة صل عليها، فقبلها وقبله وودعه وانصرف إلى السلطان" وذكر له ما جرى بينه وبين الشيخ، فقال لمن حضره قولوا لي ما أفعل به، هذا رجل يرى العقوبة نعمة اتركوه بيننا وبينه الله، وبقي الشيخ على تلك الحالة ثلاثة أيام، ثم أفرج عنه [٥٨] .

المبحث الثاني- المواقف السياسية للإمام العز بن عبد السلام:

أولا: مواقفه السياسية مع الملك الأشرف:

كانت للشيخ العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– مواقف سياسية مع الملك الأشرف موسى بن الملك العادل، فعند مرض السلطان مرض الموت قال لأكبر أصحابه اذهب إلى ابن عبد السلام وقل له: "محبك موسى بن الملك العادل أبي بكر يسلم عليك، ويسألك أن تعوده، وتدعو له وتوصيه بما ينتفع به غدا عند الله" فلما وصل الرسول إليه بهذه الرسالة، قال: "نعم، إن هذه العيادة لمن أفضل العبادات؛ لما فيها من النفع المتعدي إن شاء الله تعالى" فتوجه إليه، وسلم عليه، فسر برؤيته سروراً عظيماً... وقال: "يا عز الدين، اجعلني في حل، وادع الله لي، وأوصني وانصحني" فقال له: "أما محاللتك فإني كل ليلة أحالل الخلق، وأبيت وليس لي عند أحد مظلمة، وأرى أن يكون أجري على الله، ولا يكون على الناس، عملا بقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ...﴾ [الشورى: ٤٠] ، وأن يكون أجري على الله

ولا يكون على خلقه أحب إلي، وأما دعائي للسلطان فإني أدعو له في كثير من الأحيان لما في صلاحه من صلاح المسلمين والإسلام، والله تعالى يبصر السلطان فيما يبيض به وجهه عنده يوم يلقاه، وأما وصيتي ونصيحتي للسلطان فقد وجبت وتعينت لقبوله وتقاضيه" وكان قبيل مرضه قد وقع بينه وبين أخيه السلطان الملك الكامل وحشة، وأمر وهو في ذلك المرض بنصب دهليزه إلى صوب مصر وضرب منزلة تسمى الكسوة، وكان في ذلك الزمان قد ظهر التتر بالشرق فقال الشيخ للسلطان: "الملك الكامل أخوك الكبير ورحمك وأنت مشهور بالفتوحات والنصر على الأعداء، والتتر قد خاضوا بلاد المسلمين... تترك ضرب دهليزك إلى أعداء الله وأعداء المسلمين وتضربه إلى جهة أخيك، فينقل السلطان دهليزه إلى جهة التتار، ولا تقطع رحمك في هذه الحالة، وتنوي مع الله نصر دينه، وإعزاز كلمته، فإن من الله بعافية السلطان رجونا من الله إدالته على الكفار، وكانت في ميزانه هذه الحسنة العظيمة، فإن قضى الله تعالى بانتقاله إليه كان السلطان في خفارة نيته" [٥٩] ، فشكره الملك الأشرف، فقال له: "جزاك الله خيرا عن إرشادك ونصيحتك" وأمر –والشيخ حاضر– في ذلك الوقت، بنقل دهليزه إلى الشرق، إلى منزلة يقال لها: (القصير) فنقل في ذلك اليوم، ثم قال له زدني من نصائحك ووصاياك، فقال له: "السلطان في مثل هذا المرض، وهو على خطر، ونوابه يبيحون فروج النساء، ويدمنون الخمور، ويرتكبون الفجور، ويتنوعون في تمكيس المسلمين، ومن أفضل ما تلقى الله به أن تتقدم بإبطال هذه القاذورات، وبإبطال كل مكس [٦٠] ودفع كل مظلمة" فتقدم –رحمه الله– للوقت بإبطال ذلك كله، وقال له: "جزاك الله عن دينك، وعن نصائحك، وعن المسلمين خيرا، وجمع بيني وبينك في الجنة بمنه وكرمه" وأطلق له ألف دينار مصرية فردها عليه، وقال هذه اجتماعة لله لا أكدرها بشيء من الدنيا" [٦١] .

وانتشر خبر نصيحة الشيخ –رحمه الله تعالى– وزهده في هبة السلطان له، فزاد من رفعته ومكانته بين الناس، وتعلقت به آمالهم، وأصبح سلطان الشيخ على قلوب الناس أقوى من سلطان الملك.

ثانياً: مواقفه السياسية مع الملك الصالح لما حالف الصليبيين:

قام الملك الصالح إسماعيل الذي تولى الحكم في دمشق بعد أخيه الأشرف بارتكاب خيانة كبيرة، بعد معرفته إن المصريين حلفوا للملك الصالح نجم الدين أيوب، وكاتبوه بذلك فوصل إليهم وملك الديار المصرية، وسار في أهلها السيرة المرضية، فخاف منه الصالح إسماعيل خوفا منعه المنام والطعام والشراب واصطلح مع الفرنج الصليبيين، على أن ينجدوه على ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، ويسلم إليهم صيدا [٦٢] والشقيف [٦٣] وغير ذلك من حصون المسلمين، ودخل الفرنج دمشق لشراء السلاح ليقاتلوا به عباد الله المؤمنين، فشق ذلك على الشيخ مشقة عظيمة في مبايعة الفرنج الصليبيين السلاح، وعلى المتدينين من المتعيشين من السلاح، فاستفتوا الشيخ في مبايعة الفرنج السلاح، فقال: يحرم عليكم مبايعتهم لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين، وجدد دعاءه على المنبر وكان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين قبل نزوله من المنبر، وهو: "اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا، تعز فيه وليك،

وتذل فيه عدوك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه عن معصيتك" والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء الله الملحدين، فكاتب أعوان الشيطان السلطان بذلك، وحرفوا القول وزخرفوه، فجاء كتابه باعتقال الشيخ، فبقي مدة معتقلا [٦٤] .

فأرسل إليه الصالح إسماعيل أحد خاصته فاجتمع به ولاينه، وقال له: "ما نريد منك شيئًا إلا أن تتكسر للسلطان، وتقبل يده لا غير" ؛ فقال الشيخ له: "يا مسكين، ما أرضاه يقبل يدي فضلا عن أن أقبل يده! يا قوم، أنتم في واد وأنا في واد! والحمد لله الذي عافاني مما ابتلاكم به" فقال له: "قد رسم لي إن لم توافق على ما يطلب منك وإلا اعتقلتك" فقال: "افعلوا ما بدا لكم" فأخذه واعتقله [٦٥] .

والفضل ما شهدت به الأعداء للشيخ:

ويأبى الله إلا أن يصفع هذا السلطان الصالح إسماعيل، الذليل الذي خان أمته وأمانته، وسلم أوطان المسلمين للأعداء، وتحالف مع الإفرنج الصليبيين، فكان اعتقال الشيخ العز بن عبد السلام – رحمه الله– في خيمة إلى جانب خيمته، ويأبى الله إلا أن يخزي هذا السلطان على ألسنتهم، وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه فقال يوما لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم، قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره علي تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق، وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جددت حبسه واعتقاله لأجلكم؛ فقالت له ملوك الفرنج: "لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها" ثم جاءت العساكر المصرية ونصر الله تعالى الأمة المحمدية وقتلوا عساكر الفرنج، ونجى الله سبحانه وتعالى الشيخ فجاء إلى الديار المصرية فأقبل عليه السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب –رحمه الله– وولاه خطابة مصر وقضاءها [٦٦] .

ثالثاً: مواقفه السياسية مع فخر الدين:

لما وصل الشيخ ابن عبد السلام –رحمه الله تعالى– إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه، وولاه قضاء مصر، "فاتفق أن أستاداره [٦٧] فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ –وهو الذي كان إليه أمر المملكة– عمد إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره بناء طبلخاناه، وبقيت تضرب هناك، فأنكر ذلك الشيخ ابن عبد السلام، وحكم بهدم ذلك البناء، وأسقط فخر الدين، وعزل نفسه من القضاء، ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان، وظن فخر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتأثر به في الخارج، فاتفق أن جهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستعصم ببغداد، فلما وصل الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة، وأدى الرسالة له، خرج إليه، وسأله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملنيها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ أستاداره، فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فنحن لا نقبل روايته، فرجع الرسول إلى السلطان" [٦٨]

رابعاً: مواقفه السياسية مع السلطان أيوب:

كان الإمام العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– لا يصبر على منكر إذا رآه، بل ينكره ولو كان صاحبه السلطان نفسه، فقد طلع إلى السلطان مرة في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته، على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟! فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال يا سيدي، هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال: أنت من الذين يقولون: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ...﴾ [الزخرف: ٢٢] ، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة" [٦٩] .

وسأل رجل الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: "يا سيدي كيف الحال؟ فقال: يا بني رأيته في تلك العظمة فأردت أن أهينه؛ لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدي أما خفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى فصار السلطان قدامي كالقط"، واستمر على هذه الطريقة إلى أن ترك جميع المناصب والولايات [٧٠] .

خامساً: مواقفه السياسية في معركة المنصورة:

أعد الصليبيون بقيادة ملكهم لويس التاسع ملك فرنسا [٧١] جيشا قويا فيه سبعمائة سفينة حربية محملة بالجنود والعتاد، وجاؤوا لغزو مصر، ووقفوا بسفنهم تجاه دمياط، فلما سمع بذلك العز بن عبد السلام تحول من عالم مدرس في المسجد إلى منذر جيش، وقائد أمة، يعبئ القوى، ويلهب الحماس، ويحث على الجهاد، ويؤلب على الصليبيين، ويستحث الأمراء على السرعة في الإعداد، والشعب على الإمداد، وإذا بمصر كلها تتحول إلى جيش لجب، ويسافر الشيخ المسن مع الجيش إلى المنصورة وينضم إلى صفوفه، ويحرضه على الجهاد، ويستنهض العزائم، ويستثير الهمم، ويحارب المسلمون في البر وفي النيل، ويتم النصر للمسلمين على الصليبيين، ويأسرون ملكهم لويس التاسع ويسجنونه في دار ابن لقمان بالمنصورة [٧٢] .

سادساً: مواقفه السياسية مع قطز في فرض الضرائب:

وصلت الأخبار بأن التتار بعد أن دمروا بغداد، وقضوا على الخلافة، في طريقهم إلى بلاد الشام، وبعث ملوك حلب والشام بطلب النجدة على قتال التتار إلى مصر، فجمع الأمير سيف الدين قطز المعزي القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه في أمر التّتار، وأن يؤخذ من الناس ما

يستعان به على جهادهم، وذكر أن بيت المال خال، واستفتاهم في أخذ الأموال من الرعية للمساهمة بتجهيز الجيش وإعداده، فحضروا في دار السّلطنة، وحضر الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام وغيره من العلماء، وأفاضوا في الحديث، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السّلام –رحمه الله تعالى–، وأحس الشيخ أن عبء الحملة يوشك أن يقع على طبقات الشعب المعدومة لتبقى الكنوز من الذهب في حوزة المماليك، وخلاصة ما قال: "إذا طرق العدو بلاد الإسلام، وجب على العالم –الإسلامي– قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادهم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا مالكم من الحوانص الذهبية، والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على سلاحه ومركوبه، ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ الأموال من العامة مع بقاء ما في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا" (٧٣) .

لم يكتب الشيخ ابن عبد السلام –رحمه الله تعالى– للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلي نسائهم وأولادهم، وحلف كلا منهم إنه لا يملك سوى هذا، لكن لم يكن ذلك كافيا، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد، وأما الآن فيبلغني أن كلا من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ، ويعمل الإناء الذي يستنجي منه في الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر، وقام عنهم فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخي متولي القاهرة، ورسم له بالنظر في أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله (٧٤) .

وطبق السلطان قطز الفتوى، فامتلأ بيت المال، وجهزت الحملة لمعركة عين جالوت بفضل فتوى الشيخ، فخاضوا المعركة واثقين من نصر الله، فانتصر المسلمون وانكسر التتار.

فيمكن القول أن تلك الفتوى التي أصدرها الشيخ العز بن عبد السلام، والمشرق الإسلامي بلا خلافة شرعية، أدت الدور نفسه الذي كانت الخلافة ستؤديه فيما لو كانت قائمة، إذ كانت فتواه تلك بمثابة سلطة روحية ساعدت المظفر في الحصول على استجابة عامة المسلمين بدفع ما قرر عليهم من أموال، مستشعرين بأن ذلك وأجب يفرضه عليهم دينهم الحنيف، وكان الشيخ العز بن عبد السلام وعلماء مصر يحثون الناس في سبيل الله تعالى، ووعظ الأمراء والحكام وحرك قلوبهم فتنبه فيها الإيمان، فأخرجوا ما عندهم، ورأى الناس ذلك فتسابقوا إلى بذل الجود، وكثرت الأموال، فأعدوا العدة وجمعوا السلاح، وأقيمت معسكرات التدريب في كل مكان واهتزَّت البلدة بالهتاف والتكبير، وصار كل مسلم يشتهي الوصول إلى المعركة، وهذا درس مهم في أهمية التكامل بين أمراء المماليك والعلماء في مقاومة التتار (٧٥) .

سابعاً: مواقفه السياسية في بيع الملوك المماليك:

لما تولى الشيخ عز الدين –رحمه الله تعالى– القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من المماليك الأتراك، الذين اشتراهم نجم الدين أيوب، ودفع ثمنهم من بيت مال المسلمين واستغلهم في خدمته وجيشه، وتصريف شئون دولته، وكانوا يمارسون البيع والشراء وهو تصرف باطل، وذكر أنه لم يثبت عنده إنهم

أحرار، وإن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فأخذ الشيخ عز الدين –رحمه الله تعالى– لا يمضي لهم بيعاً ولا شراء، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب عندهم، واجترم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحاً، وتعطلت مصالحهم لذلك؛ وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشاط غضبا، فاجتمعوا وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلساً، وننادي عليكم لبيت مال المسلمين، فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر، وأنه لا يتعلق به فغضب الشيخ وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمار آخر، ومشى خلفهم خارجا من القاهرة، قاصدا نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد إلا وقد لحقه غالب المسلمين، ولم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه إليه يتخلف، لا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه ولحقه واسترضاه وطيب قلبه فرجع واتفقوا معهم على أنه ينادى على الأمراء [٧٦] ، فأرسل إليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب، وقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟! والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطان ما رأى، وشرح له الحال، فما اكترث لذلك، وقال: يا ولدي، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي إيش تعمل؟ فقال: أنادي عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم ما أراد، ونادى على الأمراء واحدا واحدا، وغالى في ثمنهم ولم يبعهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير [٧٧] .

هذا هو الشيخ المؤمن الجريء العز بن عبد السلام –رحمه الله تعالى– الذي اشتهر أمره في الآفاق، وسطر موقفه في التاريخ، وطبق شرع الله تعالى، وأحكامه، وصدق عليه حديث الرسول ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) [٧٨] ، وكان طوال حياته منارا للإسلام، حامياً وحارساً للحق للشرع، أفرغ قلبه من ملذات هذه الدنيا الفانية، فامتلأ بخشية الله، فجزاه الله خير الجزاء.

هوامش البحث:

[١] . أَرَّانُ: اسم أعجمي لولاية واسعة، من أصقاع إرمينية، على حدود أذربيجان. ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ): معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م) ١/ ١٣٦.

[٢] . طَرَابُلُسُ الغرب: وهي مدينة على شاطئ البحر، بين اللاذقية وعكا. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤/ ٢٥.

[٣] . كورة في اليمن بين صعده وصنعاء. ينظر: الهمداني، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت، ٣٣٤هـ): صفة جزيرة العرب، طبعة: مطبعة بريل (ليدن، ١٨٨٤م) ١٠٩؛ مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ): حدود العالم من المشرق إلى المغرب، محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر (القاهرة، ١٤٢٣هـ) ١٧١.

[٤] . ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت، ٦٩٧هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الثقافة العامة (القاهرة، ١٩٥٣م) ٣/ ٥٣؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس للطباعة، ط٢ (لبنان، ٢٠٠٨م) ٢٢٩.

[٥] . أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت، ٦٦٥هـ): عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١ (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ٤/ ٤٣٤.

[٦] . السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت، ٧٧١هـ): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٣هـ) ٨/ ٢٤٣؛ جماز، د. علي محمد. الأنصاري، محمد عبد الله. المراكبي، محمد رياض: مقرر السيرة، للصف الثالث الإعدادي بقطر، مراجعة: عبد المعز عبد الستار، ط١٢ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ١/ ١٢٩.

[٧] . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت، ٧٤٨هـ): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢ (بيروت، ١٩٩٣م) ٤٦/ ٤٥.

[٨] . بيبرس بن عبد الله، السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح البندقداري التركي، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأقطار الحجازية والثغور الإسلامية. ولد في حدود ٦٢٠هـ بصحراء اجبقلاق، وأخذ من بلاده صغيراً وأبيع بدمشق؛ فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي، وبقي في ملكه إلى أن قبض، توفى سنة ٦٧٦هـ. ينظر: ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت، ٨٧٤هـ): المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، تقديم: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت) ٣/ ٤٤٧.

[٩] . ابن قاضى شهبه، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت، ٨٥١ هـ): طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب، ط١ (بيروت، ١٤٠٧هـ) ٢/ ١١١؛ جماز وآخرون: السيرة، ١/ ١٣٠.

[١٠] . جماز وآخرون: السيرة، ١٣٠.

[١١] . ألكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت، ٧٦٤هـ): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر، ط١ (بيروت، ١٩٧٣– ١٩٧٤م) ٥/ ٣٣٠– ٣٣٤.

[١٢] . ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٨٢.

[١٣] . ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٦٦.

[١٤] . ألصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناءوط. وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت،١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م) ١٠/ ٣٥– ٣٦.

[١٥] . أبو عمرو بن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الدوني الأصل الإسنائي المولد، المقرئ المالكي النحوي الأصولي –رحمه الله تعالى– أحد الأعلام، قال: ولدت سنة سبعين أو سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بإسنا، من أعمال الصعيد وكان أبوه جنديا حاجبا للأمير عز الدين موسك الصلاحي. فاشتغل أبو عمرو في الصغر بالقاهرة، وحفظ القرآن، وقرأ ببعض الروايات على الشاطبي، وسمع منه التيسير، ثم قرأ القراءات، وكان حاد القريحة، يتوقد ذكاء قدم دمشق ودرس بها، وأكب الفضلاء على الأخذ عنه، وصنف التصانيف النفيسة المتنافس فيها، توفي في شوال سنة ٦٤٦هـ –رحمه الله تعالى–. ينظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م) ٣٤٨– ٣٤٩؛ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت، ٨٣٣هـ): غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره لأول مرة ج. برجستراسر (مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ) ١/ ٥٠٨.

[١٦] . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب (مصر، د. ت) ٦/ ٣٣٨.

[١٧] . شجرة الدر الصالحية، أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب. اشتراها في أيام أبيه، وحظيت عنده، وولدت له ابنه خليلا، فأعتقها وتزوجها، فكانت معه مدة طويلة. ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة، كانت في بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه في الغزوات. ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧هـ بالمنصورة، والمعارك ناشبة بين جيشه والإفرنج، كانت عنده، فأخفت خبر موته، واستمر كل شئ كما كان: السماط يمد كل يوم، والأمراء في الخدمة، وهي تقول: السلطان مريض ما يصل أحد إليه. وتقدمت للملك، فخطب لها على المنابر، وضربت السكة باسمها، وأقامت عز الدين أيبك الصالحي، وزير زوجها، وزيرا لها. وكانت علامتها على المراسيم وعلى السكة ولم يستقر أمرها غير ثمانين يوما، وخرجت الشام عن طاعتها، فتزوجت بوزيرها عز الدين ونزلت له عن السلطنة، واحتفظت بالسيطرة عليه. فطلق زوجته الأولى أم علي وتلقب بالملك المعز. ثم أراد أن يتزوج عليها، فأمرت مماليكها فقتلوه خنقا بالحمام. وعلم ابنه علي بالأمر، فقبض عليها، وسلمها إلى أمه، فأمرت جواريها أن يقتلنها بالقباقيب والنعال، فضربنها حتى ماتت سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢ م) ٣/ ١٥٨.

[١٨] . ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت، ٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة (بيروت، د. ت) ٧٢٤؛ ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٠/ ٣٥- ٣٦؛ الزركلي: الأعلام، ٣/ ١٥٨.

[١٩] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ٢٤/ ١٨٩- ١٩٠.

[٢٠] . اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت، ٧٢٦ هـ): ذيل مرآة الزمان، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط٢ (القاهرة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) ٢/ ١٧٢؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت) ٣/ ٢٩٩؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ): طبقات الشافعيين، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم. د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) ٨٧٣؛ أبو الطيب المكي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت، ٨٣٢هـ): ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ٢/ ١٢٨؛ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت، ٨٥٢هـ): رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١ (القاهرة، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م) ٢٣٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٦.

[٢١] . اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢/ ١٧٢؛ الذهبي: العبر، ٣/ ٢٩٩؛ ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٨ ؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٠؛ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ٨٧٣؛ أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ٢/ ١٢٨؛ الزر كلي: الأعلام، ٤/ ٢١.

[٢٢] . جماز وآخرون: مقرر السيرة، ١٢٨.

[٢٣] . أي أن يحدثهم الراوي للحديث النبوي أعلى حديث عنده، فيقول: لأحدثنكم حديثا من عوالي ما عندي. ينظر: العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (ت، ٨٠٦ هـ): المغني عن حمل الأسفار، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية (الرياض، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ١/ ١٠١؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي (ت، ٩٧٥هـ): كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: تحقيق: بكري حياني. وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) ١٢/ ٤٢١.

[٢٤] . الرغائب ما يرغب فيه من الثواب العظيم، يقال: رغيبة ورغائب؛ وقال غيره: هي ما يرغب فيه ذو رغب النفس، ورغب النفس سعة الأمل وطلب الكثير؛ ومن ذلك صلاة الرغائب، واحدتها رغيبة؛ والرغيبة: الأمر المرغوب فيه. ورغب عن الشيء: تركه متعمدا، وزهد فيه ولم يرده. ورغب بنفسه عنه: رأى لنفسه عليه فضلا. وصلاة الرغائب: تصلى في أول ليلة جمعة من رجب، ولم تثبت عن النبي ﷺ. ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت، ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، ط٣ (بيروت، ١٤١٤هـ) ١/ ٤٢٣؛ مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت، ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د. ت) ٢/ ٥١٠؛

محمد رواس قلعجي. حامد صادق قنيبي: معجم لغة الفقهاء: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) ٢٧٦.

[٢٥] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٨؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٠– ٣٥١؛ ابن كثير: طبقات الشافعيين، ٨٧٣؛ ابن قاضى شهبه: طبقات الشافعية، ٢/ ١١٠؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٣٩– ٢٤٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٧.

[٢٦] . إسماعيل بن محمود بن زنكي، من ملوك بني زنكي في الشام والجزيرة، ولد سنة ٥٥٨ هـ/١١٦٣م، وبويع له بدمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٦٩هـ وهو ابن إحدى عشرة سنة. فقام بأمور دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم، وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قد استقل بمصر، ورحل الصالح إلى حلب، فكتب شمس الدين ورؤساء دمشق إلى صلاح الدين يستدعونه، فأقبل عليهم، ودخل دمشق معلنا إبقاء الدعاء فيها للصالح بعد مصالحته، توفي بحلب سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١م. ينظر: الزركلي: الأعلام، ١/ ٣٢٦.

[٢٧] . صَفَدُ: بالتحريك، والصفد: العطاء، وكذلك الوثاق، وصفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣/ ٤١٢.

[٢٨] . الشقيف كالكهف أضيف إلى أرنون اسم رجل: قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل، قرب بانياس، من أرض دمشق، بينها وبين الساحل. ينظر: ابن شمائل، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي (ت، ٧٣٩هـ): مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، ط١ (بيروت، ١٤١٢هـ) ٢/ ٨٠٧.

[٢٩] . ألسبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤٣– ٢٤٤.

[٣٠] . الملك الصالح نجم الدين أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، سلطان الديار المصرية، وآخر سلطان بني أيوب بمصر القائم بدولة الأتراك، ولد سنة ٦٠٣هـ بالقاهرة، كانت وفاته في سنة ٦٤٧هـ. ينظر: ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٣/ ٢٢٨.

[٣١] . ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٨.

[٣٢] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٨؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٧.

[٣٣] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٨؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢/ ١٧٢.

[٣٤] . ابن كثير: طبقات الشافعيين، ٨٧٣.

[٣٥] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٩؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١– ٣٥٢.

[٣٦] . ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤٠.

[٣٧] . السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ (مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) ١/ ٣١٥؛ جماز وآخرون: مقرر السيرة، ١٢٩.

[٣٨] . ابن كثير: طبقات الشافعيين، ٨٧٣؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ٢/ ١٧٢؛ الذهبي: العبر، ٣/ ٢٩٩؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٨؛ الكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٠؛ أبو الطيب المكي: ذيل التقييد، ٢/ ١٢٨؛ المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت، ٨٤٥هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ١/ ٥٤٥.

[٣٩] . ألصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٩؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٩.

[٤٠] . الذهبي: العبر، ٣/ ٢٩٩؛ ألكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤١.

[٤١] . ابن قاضى شهبة: طبقات الشافعية، ٢/ ١١١.

[٤٢] . ابن قاضى شهبة: طبقات الشافعية، ٢/ ١١١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٨؛ الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢١.

[٤٣] . طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٠٩.

[٤٤] . العبر، ٣/ ٢٩٩.

[٤٥] . الذهبي: العبر، ٣/ ٢٩٩.

[٤٦] . فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٠.

[٤٧] . البداية والنهاية، الناشر: دار الفكر (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) ١٣/ ٢٣٥.

[٤٨] . رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤١.

[٤٩] . الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٩.

[٥٠] . حسن المحاضرة، ١/ ٣١٦.

[٥١] . حسن المحاضرة، ١/ ٣١٥.

[٥٢] . طبقات الشافعية، ٢/ ١٠٩– ١١٠.

[٥٣] . الأعلام، ٤/ ٢١.

[٥٤] . الصفدي: الوافي بالوفيات، ١٨/ ٣١٩؛ الكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٢؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤١؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٩؛ الزركلي: الأعلام، ٤/ ٢١.

[٥٥] . السيوطي: المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي، ط١ (بيروت، ١٤٢٤هـ) ٢٩٤.

[٥٦] . ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤١؛ السيوطي: المحاضرات والمحاورات، ٢٩٤.

[٥٧] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢١٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ١/ ٣١٥– ٣١٦.

[٥٨] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٣٤– ٢٣٦.

[٥٩] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤٠.

[٦٠] . المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق في الجاهلية. والماكس: العشار. ويقال للعشار: صاحب مكس. والمكس: ما يأخذه العشار. يقال: مكس، فهو ماكس، إذا أخذ. وفي الحديث: (لا يدخل صاحب مكس الجنة) . ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت، ١٧٠هـ): جمهرة اللغة، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د. ت) ٢/ ٨٥٥؛ الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت، ٢٤١هـ): مسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢ (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م) ٢٨/ ٥٨٦؛ ابن منظور: لسان العرب، ٦/ ٢٢٠.

[٦١] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤١.

[٦٢] . صيدا: وهي مدينة على شاطئ البحر، المسافة بين صيدا ودمشق ستة وستون ميلا. ينظر: المهلبي العزيزي، الحسن بن أحمد (ت، ٣٨٠هـ): المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف (د. ت) ٩٥؛ المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني (ت، ٤٨١هـ): سفر نامه، تحقيق: د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط٣ (بيروت، ١٩٨٣م) ٤٩.

[٦٣] . الشقيف كالكهف قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل، قرب بانياس، من أرض دمشق، بينها وبين الساحل. ينظر: ابن شمائل: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، ٢/ ٨٠٧.

[٦٤] . الكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤٣؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ١٦١– ١٦٢.

[٦٥] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ١٦٢.

[٦٦] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢٤٤.

[٦٧] . الأستادار: هو الذي يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير. ينظر: السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ١٦٢.

[٦٨] . الكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤٠؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٨؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ١٦٢.

[٦٩] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢١١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤٠.

[٧٠] . الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت، ٧٢٢هـ): طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت (بيروت، ١٩٨٤م) ٢/ ١٩٨؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢١١؛ ابن حجر العسقلاني: رفع الإصر عن قضاة مصر، ٢٤٠.

[٧١] . أسر في دار ابن لقمان بالمنصورة، وقال لويس التاسع في وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية في باريس، إنه لا يمكن الانتصار على المسلمين من خلال حرب، وإنما بإتباع ما يلي: ١– إشاعة الفرقة بين قادة المسلمين. ٢– عدم تمكين البلاد العربية والإسلامية أن يقوم فيها حكم صالح. ٣– إفساد أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية بالرشوة والفساد والنساء، حتى تنفصل القاعدة عن القمة. ٤– الحيلولة دون قيام جيش مؤمن بحق وطنه عليه، يضحى في سبيل مبادئه. ٥– العمل على الحيلولة دون قيام وحدة عربية في المنطقة. ٦– العمل على قيام دولة غربية في المنطقة العربية تمتد لتصل إلى الغرب يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم. من محاضرة كان عنوانها: لماذا كنا نحاول البقاء في الجزائر، للحاكم الفرنسي

مرماديوك باكتول في الجزائر بعد مرور مائة عام على احتلالها، المسلمون يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقا بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم. ينظر: معدي، حسين حسيني: الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، الناشر: دار الكتاب العربي، ط١ (دمشق، ١٤١٩هـ) ١/ ٩٣.

[٧٢] . جماز وآخرون: مقرر السيرة، ١٣٥.

[٧٣] . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧/ ٧٣؛ المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٢٧؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١ (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م) ٣٣٤.

[٧٤] . المقريزي: السلوك، ٢/ ٣٢٧.

[٧٥] . الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد: المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، الناشر: الأندلس الجديدة، ط١ (مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م) ٣٥٣.

[٧٦] . السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢١٦- ٢١٧.

[٧٧] . الكتبي: فوات الوفيات، ٢/ ٣٥٢؛ السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ٨/ ٢١٧؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ٧/ ٢٨٩؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ٢/ ١٦٢.

[٧٨] . الإمام أحمد: مسند، ١٧/ ٢٢٨؛ الحارثي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل البخاري (ت،٣٤٠هـ): مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله تعالى، تحقيق: لطيف الرحمن البهرائجي القاسمي، المكتبة الإمدادية، ط١ (مكة المكرمة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م) ٢/ ٦٦٥؛ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ): المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ٤/ ٥٥١.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.

- الإمام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت، ٢٤١هـ):

٢. مسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢ (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م) .

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن (ت، ٧٢٢هـ):

٣. طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت (بيروت، ١٩٨٤م) .

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت، ٨٧٤هـ):

٤. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، تقديم: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د. ت) .

٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب (مصر، د. ت) .

- جماز، د. علي محمد. الأنصاري، محمد عبد الله. المراكبي، محمد رياض:

٦. مقرر السيرة، للصف الثالث الإعدادي بقطر، مراجعة: عبد المعز عبد الستار، ط١٢ (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

– ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف (ت، ٨٣٣هـ):
٧– غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره لأول مرة ج. برجستراسر (مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ) .
– الحارثي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل البخاري (ت،٣٤٠ هـ):
٨. مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله تعالى، تحقيق: لطيف الرحمن البهرائجي القاسمي، المكتبة الإمدادية، ط١ (مكة المكرمة، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م) .
– الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت، ٤٠٥هـ):
٩. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م) .
– ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت، ٨٥٢هـ):
١٠. رفع الإصر عن قضاة مصر، تحقيق: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١ (القاهرة، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م) .
– الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت، ٧٤٨هـ):
١١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط٢ (بيروت، ١٩٩٣م) .
١٢. العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت) .
١٣– معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، ط١ (١٤١٧ هـ– ١٩٩٧م) .
– الزر كلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الدمشقي:
١٤. الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ (٢٠٠٢ م) .
– السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (ت، ٧٧١هـ):
١٥. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي. د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤١٣هـ) .
– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت، ٩١١هـ):
١٦. تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١ (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .
١٧. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١ (مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) .
١٨. المحاضرات والمحاورات، دار الغرب الإسلامي، ط١ (بيروت، ١٤٢٤هـ) .
– أبو شامة: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت، ٦٦٥هـ):
١٩. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١ (بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) .
– ابن شمائل، صفيّ الدين عبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي الحنبلي (ت، ٧٣٩هـ):

٢٠. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، دار الجيل، ط١ (بيروت، ١٤١٢هـ).
– ألصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ):
٢١. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناءوط. وتركي مصطفى، دار إحياء التراث (بيروت،١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م) .
– الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد:
٢٢. المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار، الأندلس الجديدة، ط١ (مصر، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م) .
– طقوش، محمد سهيل:
٢٣. تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس للطباعة، ط٢ (لبنان، ٢٠٠٨م) .
– أبو الطيب المكي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت، ٨٣٢هـ):
٢٤. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .
– العراقي، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم (ت، ٨٠٦ هـ):
٢٥. المغني عن حمل الأسفار، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية (الرياض، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) .
– الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت، ١٧٠هـ):
٢٦. جمهرة اللغة، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (د. ت) .
– ابن قاضى شهبه، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (ت، ٨٥١ هـ):
٢٧. طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط١ (بيروت، ١٤٠٧هـ).
– ألكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت، ٧٦٤هـ):
٢٨. فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١ (بيروت، ١٩٧٣– ١٩٧٤م) .
– ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ):
٢٩. البداية والنهاية، دار الفكر (١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م) .
٣٠. طبقات الشافعيين، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم. د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) .
– المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي (ت، ٩٧٥هـ):
٣١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: تحقيق: بكري حياني. وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥ (١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .
– مجهول (توفي: بعد ٣٧٢هـ):
٣٢. حدود العالم من المشرق إلى المغرب، محقق ومترجم الكتاب عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر (القاهرة، ١٤٢٣هـ) .
– محمد رواس قلعجي. حامد صادق قنيبي:

٣٣. معجم لغة الفقهاء: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م) .
– مرتضى الزَّبيدي، أبو الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت، ١٢٠٥هـ):
٣٤. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين (دار الهداية، د. ت) .
– المروزي، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القباديانى (ت، ٤٨١هـ):
٣٥. سفر نامه، تحقيق: د. يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، ط٣ (بيروت، ١٩٨٣م) .
– معدي، حسين حسيني:
٣٦. الرسول ﷺ في عيون غربية منصفة، دار الكتاب العربي، ط١ (دمشق، ١٤١٩هـ).
– المقريزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت، ٨٤٥هـ):
٣٧. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) .
– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت، ٧١١هـ):
٣٨. لسان العرب، دار صادر، ط٣ (بيروت، ١٤١٤هـ) .
– المهلبي العزيزي، الحسن بن أحمد (ت، ٣٨٠هـ):
٣٩. المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه ووضع حواشيه: تيسير خلف (د. ت) .
– الهمداني، ابن الحائك أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت، ٣٣٤هـ):
٤٠. صفة جزيرة العرب، طبعة: مطبعة بريل (ليدن، ١٨٨٤م) .
– ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت، ٦٩٧هـ):
٤١. مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الثقافة العامة (القاهرة، ١٩٥٣م) .
– ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت، ٦٢٦هـ):
٤٢. معجم البلدان، دار صادر، ط٢ (بيروت، ١٩٩٥م) .
– اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد (ت، ٧٢٦ هـ):
٤٣. ذيل مرآة الزمان، بعناية: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، ط٢ (القاهرة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) .